

(١).....

الحق أحقُّ أن يُتبع

بقلم ...

السيد محمد علي السيد هاشم العلي

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على
محمد وآله الطيبين الطاهرين.

قال تعالى {وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ
شَيْئًا} ^(١)، وقال {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ
ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا
بَعِيدًا} ^(٢)، وقال {وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا
عَظِيمًا} ^(٣)

صدق الله العلي العظيم

١- سورة النساء آية ٣٥.

٢- سورة النساء آية ١١٦.

٣- سورة النساء آية ٤٨.

(٣).....

الشرك من أعظم الكبائر وهو من الذنوب التي لا تغفر كما نصت عليه الآية.

وهو يأتي على أنحاء الأول الشرك في الاعتقاد بأن يعتقد بوجود رب آخر غير الله، والثاني الشرك في العبادة بأن يعبد غير الله بنحو من أنحاء العبادة ويتوجه به لغير الله كالسجود والصلاة والصوم وغيرها مما يكون معدوداً في سلك العبادة، والثالث الشرك في القول بأن يخاطب المخلوق بما يخاطب به الله فيقول يا رب ويا معبودي..... وأمثال ذلك.

ومنه طلب الحاجة من المخلوق بنحو يكون صدورها منه استقلالياً معزولاً عن قدرة الله تعالى وإرادته وأذنه وفضه وهذه الأنحاء كلها من الشرك وهو محرم ولا يخالف في حرمة أحد.

.....(٤)

وهناك صورة أخرى من طلب الحاجة وهي مثل
طلب الشفاء للمريض من النبي ^ والإمام #
وطلب قضاء الحاجة المتعسر قضائها بالوسائل
الطبيعية، أو طلب حل المشكلة المتعسر حلها كذلك، لكن
بنحو يكون قضاء ذلك من النبي والإمام عن طريق
إقامة المعجز فهل يدخل في هذه الصورة شرك أو لا
يدخل ؟

هذا ما نحاول الإجابة عنه في هذا الكتاب .

المؤلف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على
محمد وآله الطيبين الطاهرين.

قال تعالى { وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى
الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ }^(٤).

الناس للناس من بدو ومن حضر

بعض لبعض وأن لم يشعروا خدم

هكذا سنة الحياة في الدنيا فسبحان من أنشأها

وجعلها قائمة على التعاون ولولاه لاستحالت واستحال

العيش فيها إذا أخذ في الحساب أن الله تعالى شأنه

قد بناها على منهج قيام المسببات وترتيبها على

(٦).....

أسبابها الطبيعية ولم بينها على نظام ما فوق العادة
ففي نظام الأسباب والمسببات ومبنيًا عليه نلاحظ أن
كل فرد يحتاج في جملة من متطلبات العيش إلى من
يعنيه فيها بجهة اختصاصه إذ أنه من المستحيل على
كل فرد أن يوفر ما يحتاج إليه بنفسه وفي كل جهات
حياته وشؤونها فيكون بناءً فيبني بيته بيده، ويكون
حداداً فيما يحتاج إلى الحدادة، ونجاراً فيما يحتاج
إلى النجارة، ويكون خياطاً فيخيط ثوبه بيده، ومزارعاً
يفلح أرضه، وطبيباً يعالج نفسه من أمراضها وإلى
غير ذلك مما لا يستطيع القيام به بصورة فرديه بل
أن الله جل ذكره حتى في الدين وما يرجع إليه من
أمور أقامته وحفظه لم يجعل على نفسه في كل ذلك أن
يفيض به الوجود مباشرة دون أن يقوم السبب المعد له
فيفيض هو الوجود وأكثر من ذلك فقد أمرنا بإقامة

(٧).....

الدين فقال تعالى { أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا
فِيهِ }^(٥) وأمر بالجهاد فقال تعالى { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ
لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ }^(٦)، وقال تعالى { قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنْ
الْأَعْرَابِ سَتُدْعُونَ إِلَى قَوْمِ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ
أَوْ يُسَلِّمُونَ فَإِنْ تَطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ
تَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِّنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا }^(٧)، وكل
ذلك يعد من صور التعاون، بل وأمر بالتعاون بنحو
النص فقال { وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا
عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ }^(٨).

٥- سورة الشورى آية ١٣ .

٦- سورة المائدة آية ٣٥ .

٧- سورة الفتح آية ١٦ .

٨- سورة المائدة آية ٢ .

وبالجملة الحياة كلها قائمة على التعاون وعلى نهج ترتيب المسبب على سببه الطبيعي المؤثر في وجوده على حسب ما اقتضته الإرادة الإلهية، ونحن نتابع مسيرتنا في الحياة في كل ما نحتاج إليه على هذا النهج وهذا كله حين تكون الوسائل متوفرة والأسباب مهيئة لذلك وقادرة على التأثير في مسبباتها، أما حين تنعدم الوسائل أو تضعف الأسباب وتكون عاجزة عن التأثير في المسببات فيعجز الطبيب عن معالجة المريض أو لا يكون لدوائه قدرة على التأثير في شفائه، وحين تزداد المشاكل تعقيداً وتعجز الحلول عن أن تعطي إنفراجاً فيها وحين تعظم الحاجة لشيء لا يستغنى عنه ولا نجد من له القدرة على قضائها فنحن في كل ذلك نجد أنفسنا مضطرين إلى طلب الوسائل التي هي من مقولة ما وراء الطبيعة لقضائها

(٩).....

فتوجه إلى من لهم القدرة عليها وهم أهل البيت
& فقد أعطاهم الله سبحانه القدرة على إقامة
المعجز وخصهم به تشريفاً و تمييزاً لهم على سائر
البشر وليكون ذلك شاهد صدق على قربهم منه
ودليلاً قاطعاً على خلافتهم عنه في بريته وسكان
أرضه, فنستغيث بهم لشفاء المريض وقضاء الحاجة
وحل المشكل ونحن حين ندعوهم لذلك إنما ندعوهم
ونحن في أعلى مراتب اليقين وأقوى الاعتقاد بأنهم
& في موقع إقامة السبب لا يتجاوزنه وإنما يصدرون
أمرهم على الأشياء المأمورة بطاعتهم أو يعلقون
أرادتهم بها بنحو من التعلق, ويبقى الفيض بيد الله
سبحانه ومختصاً به لا يشاركه أحد فيه وأنا نعتقد
مضافاً إلى ذلك أنهم حين يقيمون المعجز في مورد

(١٠).....

الإجابة لاستغاثتنا فإنما يقيمونه بعد علمهم برضاء
الله تعالى وأذنه لهم فيه فهم عبادٌ مكرمون لا
يسبقونه بقول ولا بفعل بل هم بأمره يعملون, ومما
يشهد بذلك أنك ترى بعض الاستغاثات تلاقي الإجابة
منهم بصورة فورية أو تشبه الفورية وبعضها تتأخر
الإجابة فيها إلى حين, وبعضها لا تلاقي إجابة منهم
أصلاً ومع كل ذلك نجد الاستجابات الصادرة عنهم
قد كثرت حتى اشتهر الإمام موسى بن جعفر #

(بياب الحوائج).

وبالجملة أننا حين نستغيث بهم لقضاء حوائجنا
فإنما نستغيث بهم على هذا النهج ومع هذا الاعتقاد
فلا محذور في ذلك ولا يضر باعتقادنا ولا يوجب لنا
أية شائبة شرك فيه بل وحتى لو خاطبتهم أنا وقلت

(١١).....

بالنص الحرفي (ياساداتي شافوني وعافوني من
مرضي وأغنوني وأعطوني فرجاً في مشكلتي) فإن ذلك
لا يضر بديني ولا بعقيدتي ولا يداخلني فيها أية
شائبة شرك ما دام الطلب مني صادراً على ذلك
المبنى وعلى ذلك التقدير ومع ذلك الاعتقاد، بل لا
يضر بدينهم ولا بعقيدتهم ولا بمقامهم ولا بقربهم
من الله تعالى لو قالوا هم وحدثوا عن أنفسهم أنهم
يشافون ويعافون المرضى ويحيون الموتى ويغنون
ويرزقون كل ذلك لا يستوجب لهم شيئاً من الشرك
فقد صدر هذا القول عن عيسى بن مريم # وهو
نبي من أولي العزم، وقد حكى الله جل ذكره ذلك عنه
في كتابه العزيز فقال تعالى { وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ
أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِّنَ الطِّينِ

(١٢).....

كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ
الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا
تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ
إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ }^(٩).

ولم ينهه الله تعالى عن هذا القول ولم يعاتبه
عليه بل جعل ما يصدر منه من أبراء الأكمه والأبرص
وإحياء الموتى معجزة له في نبوته، كما أنه لم يعاتب
الملك الذي أرسله إلى مريم فذعرت منه و { قَالَتْ إِنِّي
أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا }^(١٠)، فقال لها { إِنَّمَا
أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا }^(١١) وقد نسب
أعمال الهبة إلى نفسه.

٩- سورة آل عمران آية ٤٩.

١٠- سورة مريم آية ١٨.

١١- سورة مريم آية ١٩.

.....(١٣)

بل وأكبر من ذلك ما جاء في قصة طلب إبراهيم

من الله تعالى أن يريه كيف يحيى الموتى فقال

تعالى { وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى

قَالَ أَوْلَمْ تُؤْمِنِ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ

أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ

مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ

عَزِيزٌ حَكِيمٌ }^(١٢)، فقد أمره الله تعالى أن يتول الدعوة

لهن بنفسه ولم يأمره بأن يدعوه فيحيها له فلو كان

توليه الدعوة لهن بنفسه موجباً للشرك لما أمره الله

تعالى به.

وفي قضية طلب موسى # من الله تعالى أن

يستعين بأخيه هارون حين { قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ

(١٤).....

نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ، وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي
لِسَانًا فَأَرْسَلْتُهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ
يُكَذِّبُونِ }^(١٣) فلم يعاتبه الله على طلب الاستغاثة
بأخيه بل أقره على ذلك فقال تعالى { سَنَشُدُّ عَضُدَكَ
بِأَخِيكَ نَجْعًا لَكَمَا سُلْطَانًا }^(١٤) .

وحاصل ما نقوله أننا حين تقف الوسائل
الطبيعية وحين نلجأ إلى المعجز ونلجأ إلى أهل البيت
& ونستعين بهم في إقامته، فإنما نستعين بهم في
شي جعله الله تعالى لهم وجعل لهم القدرة عليه وما
يكون من ترتب الأثر عليه وخروج الشيء من العدم
إلى الوجود فهو يجري بقدرة الله وفيضه فلا تتحقق

١٣ - سورة القصص آية ٢٣-٢٤ .

١٤ - سورة القصص آية ٣٥ .

الاستعانة بغير الله حتى يتحقق فيها الشرك ولا توجد
الإجابة لها بوجود مستقل منسوب إلى غير الله وليس
لله فيها إرادة أو فيض حتى يحصل بها الشرك, وأما
الطلب الذي يكون على غير هذا الوجه فهو مستحيل
فكيف يصدر من رجل عاقل ملتزم بعقيدة التوحيد لله
تعالى ولكن ومع ذلك كله ومع أن الاستعانة على هذا
الوجه مستحيلة نجد أحياناً لنا في الأيمان والعقيدة يندد
بنا وينسبنا إلى الشرك حين نستغيث بأهل البيت
& لإقامة المعجز لقضاء حوائجنا المتعسر قضائها
بغير المعجز مع أنه يعلم أن إقامة المعجز لا يكون إلا
بأمر الله تعالى وأذنه وفيضه ومع أنهم & إنما
يقيمون المعجز على حد ما يقيمه عيسى بن مريم #
فكما لا تكون دعوى كون عيسى # له القدرة على

(١٦).....

إقامة المعجز مستلزمه للشرك وكما لا يكون طلب
إقامته منه لشفاء المرضى وأحياء الموتى مستلزماً
للشرك كذلك لا يلزم من دعوى كون أهل البيت &
قادرين على إقامة المعجز الشرك وكذلك لا يلزم من
طلب إقامته منهم لقضاء الحاجة ولحل المشكل ولشفاء
المريض أية شرك.

والقول بأن نسبة القدرة على المعجز لعيسى #
أو قيامه به لا يلزم منه الشرك وأن نسبة القدرة على
المعجز لأهل البيت & أو قيامهم به أو طلبه منهم
يلزم منه الشرك, ذاك قول فيه تحكّم واضح ومنشأ
هذا التحكّم هو العداء المستحکم لأهل البيت & ومن
يواليهم من أجل ذلك تكون دعوى الفرق بينهم وبين
عيسى # في ذلك من رجل يوالي أهل البيت & أو

(١٧).....

صدور كلام منه يعود في مضمونه إلى دعوى الفرق هو
في منتهى الغرابة.

وكيف كان فهذا نص خطابه بحسب تسجيله
الصوتي(يعني فيه واحد يروح للمدينة للنبي صلى الله
عليه وآله ويقول يا رسول الله اقضي حاجتي يا رسول
الله شافني من مرضي يا رسول الله أرزقني هذا لا
يجوز، الله هو الذي يحل للإنسان مشكلته بالطريقة
التي جعلها الله سبحانه وتعالى لعون الإنسان ولذا
بعض الناس يخطئون عندما يحاولون الاستعانة
بالأنبياء والأئمة بعض الناس ما يدري يروح يزور
الحسين يزور العباس يزور النبي ويتوجه إلى نفس
النبي أو الإمام ويقولوا أرزقني أو أقضى حاجتي أو
شافني مرضي هذا ما يجوز لا بد أن نتوجه إلى الله)

(١٨).....

ويقول في موضع آخر من خطابه يقول (وقد ورد
تقريباً فيها شيء من الشرك أنك تقول مثلاً يا علي
أرزقني يا علي أفضى حاجتي ما في هذا، مثل قول
بعضهم:

نادِ علياً مظهر العجائب

تجده عوناً لك في النوائب

ناد الله وأستشفع بعلي.

هذا هو نص خطابه وقد ركز فيه على نقطتين:

الأولى: طلب قضاء الحاجة من النبي والإمام.

الثانية: الاستعانة بالأنبياء والأئمة ومناداته علي

وقول ناد علياً مظهر العجائب الخ

.....(١٩)

وفيما قاله في خطابه مواضع للنظر نبدأها بذكر الاستعانة وأنا للإجابة وللتأكيد على ما ذكرناه سابقاً.

نقول: الاستعانة طلب المعونة وهي تأتي على نحوين:

الأول أن يطلب معونة النبي أو الإمام بنحو تصدر منه بوجود مستقل منسوب إليه بالاستقلال وغير مقرونة بإرادة الله ولا أذنه ولا فيضه وقد ذكرنا آنفاً أن هذا النحو من الاستعانة مضافاً إلى أنه مستلزم للشرك هو مما يستحيل حصول الإجابة فيه وتعلق الطلب به يعد تعلقاً بالمستحيل لعدم قدرة النبي ولا الإمام على تحقيق هذا النحو من الإعانة والعامل لا يعلق طلبه بالمستحيل من أجل ذلك يكون إتهام المؤمن العاقل بكونه يطلب هذا النحو من الإعانة قول غير مقبول.

والثاني أن يطلب الإعانة بنحو تصدر من النبي أو الإمام على سبيل الأعجاز فيترتب على ذلك حصول المطلوب بقدرة الله وإرادته وأذنه وفيضه, وهذا النحو من الإعانة هو المقدور للنبي والإمام القيام به وهو خال من الشرك فالطلب بهذا النحو لا محذور فيه وهو يشبه ما يجري بين الناس من طلب المعونة غير أن هذا يعتمد على إقامة المعجز وما يجري بين الناس يعتمد على السبب الطبيعي وما يصدر من الناس عند طلب الاستعانة بالنبي والإمام إنما هو هذا النحو لا غيره.

على أننا نقول أنا لو سايرنا هذا القائل وجرينا على منطقته فعلى أي نحو يريد منا أن نستعين بالله تعالى فهل نطلب منه أن يفيض الوجود منه مباشرة بكل ما نحتاج إليه فيبني لنا البيت بالفيض المباشر

.....(٢١)

ويخيط لنا الثوب كذلك ويوفر الطعام بالفَيْض أو ينزله لنا من السماء كما أنزل المائدة على بني إسرائيل ويعلق فيضه بكل ما نحتاج إليه، أن هذا النحو من المعونة لم يوفره الله تعالى حتى لأنبيائه وأوصياء أنبيائه وهم المقربون عنده فكيف يوفره لغيرهم من سائر الخلق فهذا النحو من طلب الاستعانة بالله غير مراد قطعاً.

وهناك نحو آخر من الاستعانة بالله تعالى وهو أن نقف متضرعين إلى الله في كل حاجة لنا صغيرها وكبيرها وندعوه أن يسخر لنا من عباده من يقضيها لنا وهذا النحو وأن كان ممكناً إلا أن الله تعالى لم يفرضه على أنبيائه وأوصياء أنبيائه وهم أهل القرب منه وأهل الإخلاص له والتوكل عليه والتوجه إليه بأعلى مراتب التوجه ولم يطلبه منهم فكيف يطلبه من

.....(٢٢)

سائر الخلق الذين هم دونهم في كل ذلك وإنما أحالهم على قواهم الجسدية والعقلية التي منحها لهم وأظهر فيها إبداعه وحكمته وأراد منهم أن يمارسوا الأعمال بها ويعايشون شؤون الحياة عليها سواء في ذلك الأنبياء والأوصياء وغيرهم من سائر خلقه فقال تعالى { فَاْمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ }^(١٥)، وقال تعالى { وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى }^(١٦)، بل وحتى في شؤون الدين قال تعالى { أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ }^(١٧)، قال تعالى { وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ }^(١٨) كما مر آنفاً، وكل ما طلبه منا في هذا المجال هو أن

١٥- سورة الملك آية ١٥ .

١٦- سورة المائدة آية ٢ .

١٧- سورة الشورى آية ١٣ .

١٨- سورة الحج آية ٧٨ .

(٢٣).....

نتوكل عليه في كل شي من أعمالنا ونطلب منه المدد و
القوة والعون على القيام بها مع الاعتقاد بأنها صادرة
بأذنه وقدرته وفضه ومع إعتقادنا أننا في موقع أعداد
السبب حين نقوم بها ولا تأثير لنا فيها إلا بذلك القدر
وهذا النحو من الاستعانة بالله تعالى حاصل من كل
من يؤمن بالله ويوحده في ذاته وفي صفاته وفي أفعاله,
ولا موجب لإتهام أحدٍ ممن هو على هذا النهج في
إيمانه بالشرك .

النقطة الثانية: هي طلب قضاء الحاجة من
النبي والأئمة وطلب الرزق وطلب الغنى وطلب الشفاء
للمرضى.

وإننا في مقام الجواب عن ذلك نقول أن الحاجة
التي يطلب قضاءها قد تكون من الأمور العادية التي
لا نحتاج إلى قيام المعجز فيها وهذا النحو من طلب

قضاء الحاجة لا يستوجب الشرك فأن قضاء الحاجة في مثل ذلك يصدر حتى من سائر الناس وأما لو كان قضاؤها مما نحتاج إلى إقامة المعجز فيه فأن إقامة المعجز هو مما جعل الله تعالى للنبي والإمام القدرة عليه كما مر آنفاً، فلا يكون طلب الناس له من النبي والإمام والقيام به هو من الشرك ولا يدخل فيه الشرك كما تقدم بيانه سابقاً.

وأما طلب الرزق وطلب الغنى فليس هو إلا طلب إعطاء المال فأن أريد به الإعطاء على النحو الذي يكون صدوره خاصاً بالله فهذا مضافاً إلى كون طلبه من النبي والإمام هو مستوجباً للشرك هو مما يستحيل حصول الإجابة به لعدم قدرة النبي ولا الإمام عليه وطلب المستحيل لا يصدر من عاقل كما مر سابقاً.

(٢٥).....

وأن أريد به الإعطاء الممكن صدوره من النبي
والإمام فهو مما لا يلزم من طلبه الشرك وقد وصف
الله تعالى أعطاء المال على هذا الوجه رزقاً فقال
تعالى { وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ
قِيَاماً وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا
مَعْرُوفًا }^(١٩)، وقال تعالى { وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو
الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ
قَوْلًا مَعْرُوفًا }^(٢٠)، وكذلك وصف أعطاء النبي المال
للغير أنه إغناء فقال تعالى { يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا
وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا
لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَكَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ

١٩- سورة النساء آية ٥.

٢٠- سورة النساء آية ٨.

.....(٢٦)

فَضْلِهِ }^(٢١)، فعلى هذا التقدير لا يكون قولنا للنبي والإمام أغني أو أرزقني شركاً ولا مستلزماً للشرك.

بقي الكلام في طلب الشفاء للمرضى من النبي أو الإمام والذي هو بيت القصيد في هذا الخطاب، فقد جاء ذكره في أكثر من موضع من خطابه وكأنه أراد بذلك أن يضرب على ذلك الوتر الذي كان البعض يضرب عليه ويقلده في تلك النعمة التي كان يرددها ويتهمنا فيها بالشرك، فقال ذلك وكأنه لا يعلم أن إشفاء المريض وأحياء الموتى بل وأكبر من ذلك وهو خلق الطير كان معجزة لنبي الله عيسى # وهو من أولي العزم وقد تحدث هو عن نفسه فقال أنه قادر على ذلك كما

تقدم بيانه سابقاً حيث قال كما حكاه الله تعالى
عنه { وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّنْ
رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ
فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي
الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ }^(٢٢)، فكيف ينكر صدوره من النبي
والأئمة الذين هم أعظم شأنًا واقرب خلق الله إليه
وكيف يستوجب طلب صدوره من النبي والأئمة الشرك
ولا يستوجه إذا طلب من النبي عيسى اللهم إلا أن
يبتنى قوله هذا على إنكار أن يكون الله جل ذكره قد
جعل للنبي والأئمة القدرة على إقامة المعجز عندئذ
سيكون خطابه هذا فضيحاً للغاية فقد خالف فيه ما
هو متفق عليه بين المسلمين من قدرة النبي على أظهار

المعجز بل و صدوره منه كشق القمر وتسبيح الحصى
في يديه وحنين الجذع له وغيره مما هو يعد معجزاً
للنبي ^ و خالف كذلك ما هو متسالم عليه في
عقيدتنا نحن الطائفة في النبي والإمام من كون
قدرتهم على إقامة المعجز أمراً ثابت لهم كما صرح
به الأكابر من علمائنا وأثبتوه بالروايات الصادرة
عنهم & فقد روى لنا الصدوق < في الخصال
حديثاً بسند متصل إلى أبي عبد الله جعفر بن محمد
@ قال: (عشر خصال من صفات الإمام: العصمة ،
والنصوص ، وأن يكون أعلم الناس وأتقاهم لله
وأعلمهم بكتاب الله ، وأن يكون صاحب الوصية
الظاهرة، و يكون له المعجز والدليل ، وتنام عينه ولا

(٢٩).....

ينام قلبه ، ولا يكون له فيء ، ويرى من خلفه كما يرى
من بين يديه).

وفي كتاب العلل روى حديثاً آخر بسنداً متصل
إلى أبي بصير قال (قلت لأبي عبد الله # :لأبي علة
أعطى الله عزَّ وجلَّ أنبياءه ورسله وأعطاكم المعجز؟
فقال # : ليكون دليلاً على صدق من أتى به).

وقال الشيخ المفيد < في أوائل المقالات [واتفقت
الإمامية على أن الإمامة لا تثبت مع عدم المعجز
لصاحبها إلا بالنص على عينه والتوقيف] انتهى^(٢٣)
ويستفاد من كلامه هذا أن إقامة المعجز هو أحد
الطريقين لثبوت الإمامة من أجل ذلك تكون قدرة
الإمام على إقامة المعجز أمرٌ ضروري لإثبات إمامته.

(٣٠).....

وقال < في النكت الاعتقادية [فإن قيل : ما

الطريق إلى معرفته حين ظهوره بعد استتاره #؟

فالجواب الطريق إلى ذلك ظهور المعجز على يده^(٢٤) .

وقال السيد المرتضى < في كتاب الشافي ما

نصه [لابد من وجود النص على الإمام بعينه ، أو

إظهار المعجز القائم مقام النص عليه]^(٢٥) .

وقال الشيخ الطوسي < في كتاب الغيبة وهو في

معرض بيان ما تثبت به الإمامة [إذا نص عليه النبي

أو ادعى هو الإمامة جاز أن يظهر الله تعالى على يده

علماً معجزاً]^(٢٦) .

٢٣ . النكت الاعتقادية : ٤٥ .

٢٤ . الشافي في الإمامة ٢ : ٥ .

٢٥ . الاقتصاد : ١٩٤ .

.....(٣١)

وقال أبو الصلاح الحلبي < في كتابه تقريب

المعارف ما هذا نصه [أنا قد دللنا على وقوف تعيين

الإمام على بيان العالم بالسُّرائر سبحانه بمعجز

يظهر على يديه] ^(٢٧).

وقال المحقق الحلبي < في كتابه المسلك في أصول

الدين ما نصه البحث الثالث في الطريق إلى تعيين

الإمام [وقد اختلف في ذلك ، فقالت الإمامية: لا طريق

إلى تعيينه إلا النصُّ والمعجز] ^(٢٨).

٢٦. تقريب المعارف : ١٧٤ .

٢٧. المسلك في أصول الدين : ٢١٠ .

.....(٣٢)

وقال العلامة الحلي < في الباب الحادي عشر

ما هذا نصه [فلا بدّ من نصّ من يعلم عصمته عليه،
أو ظهور معجزة على يده تدل على صدقه]^(٢٩).

وقال المقداد السيوري في كتابه النافع وهو في

معرض الاستدلال على العصمة ووجودها في الإمام ما
هذا نصه [وذلك يحصل بأمرين : أحدهما : إعلامه
بمعصوم كالنبي ^ فيخبرنا بعصمة الإمام #
وتعيينه. وثانيهما: إظهار المعجزة على يده الدالة على
صدقه في ادعائه الإمامة]^(٣٠).

وقال السيد هاشم البحراني < في كتاب مدينة

المعاجز [واعلم أنّ المعجزات من الأنبياء والأئمة دليلٌ

٢٨. النافع يوم المحشر في شرح الباب الحادي عشر: ١٠٠.

٢٩. النافع يوم المحشر: ١٠٠ - ١٠١.

.....(٣٣)

على صدقهم على الله سبحانه في دعواهم النبوة
والإمامة^(٣١) .

وقال صاحب المعالم < ما نصه [قد يُظهر الله
المعجزات على الأئمة & تنبيهاً للظالمين والغالين
وتركيباً للحجة^(٣٢)].

وقال العلامة الأميني < ما هذا نصه وأما
المعجزاتُ فإنَّها من مثبتات الدعوى ، ومتمّات الحجّة ،
ويجب ذلك في كل مدّعٍ للصلة بينه وبين ما فوق
الطبيعة ، نبياً كان أو إماماً^(٣٣) .

٣٠. مدينة المعاجز ١ : ٤١ .

٣١ . التحرير الطاوسي ٥١١ .

٢٢ الغدير ٣ : ٢٩٢ .

فهذه جملة من أقوال علمائنا الأبرار وهي وأن
لم تتحد في النص ولكنها تعود إلى معنى واحد وهو
جواز صدور المعجز من الإمام بل ولزوم أن يكون قادراً
على إقامته متى ما دعت الحاجة إلى ذلك هذا مضافاً
إلى الحديثين المتقدمين الذين رواهما في كتاب
الخصال وكتاب العلل عن الإمام الصادق # وهما
حجة قاطعة.

ومن المعلوم أن المعجز إنما يتعلق بفعل ما هو
خارق للعادة من إبراء الأكمه والأبرص أو الإشفاء من
الأمراض الميؤس من حصول الشفاء منها بالوسائل
الطبيعية وأحياء الموتى, من أجل ذلك لا موجب
للأستيحاش من طلب أوليائهم ومحبيهم منهم إقامة
المعجز لهم لإشفاء مرضاهم وقضاء حوائجهم كما لا

موجب للإنكار عليهم في ذلك الطلب, هذا على أن
الأعجاز ليس هو إلا إستجابة الأشياء لطلبهم وتحولها
على وفق إرادتهم وأن الاستجابة والتحول إنما يكون
بأذن الله تعالى وإرادته وفيضه وليس من النبي
والإمام إلا الأمر وإظهار الإرادة والرغبة في حصول
ذلك التحول, وتوهم لزوم الشرك بذلك لا موجب له,
هذا مضافاً إلى ما تواتر النقل به من صدور المعجز
عنهم & حتى سمي الإمام موسى بن جعفر #
بياب الحوائج كما تقدم سابقاً, ونحن لا نريد أن
نتهمه بإنكاره قدرة أهل البيت & على إقامة المعجز
ولا أنه يقول أن القدرة عليه ليست مجعولة لهم من
قبل الله تعالى شأنه, وإنما نريد منه الجواب عن هذا
التهافت الواقع في خطابه بين ما يقوله وما يعتقدُه إذا

لوحظ فيه أنه من أهل الولاء لأهل البيت ومن أهل
الأعتقاد بقدرتهم على إقامة المعجز حتى لا يترتب
على قوله اللوازم الغير مقبولة عقائدياً بالنسبة إلى
من يوالي أهل البيت & .

ومجمل القول انه حين يثبت أن لأهل البيت
& القدرة على إقامة المعجز وأنها مجعولة لهم من
قبل الله تعالى وحين يثبت كذلك أن الأعجاز إنما
يتعلق بالأمور التي يكون فعلها خارقاً للعادة كأحياء
الموتى وإبراء الأكمه والأبرص الأشفاء من الأمراض
الميؤس من الشفاء فيها يكون من الواضح أن طلب
هذه الأمور بالمعجز من قبل أهل البيت & هو أمر
جائز بل و معقول ومقبول ولا يلزم عليه أي محذور من
شرك أو غيره وإن أعترض أخينا هذا عليه في خطابه

(٣٧).....

هو أمر مرفوض منطقياً وغير منطبق على القواعد العلمية فليس إلا هو عنعنة فارغة كان من المفروض والمناسب لمقامه كداعية وموجه أن لا يقولها ولكن (وما اعتذارك عن قول إذا قيلاً).

وكذلك تعرض في خطابه إلى مناداة أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب # وخصوصاً في هذا البيت:

ناد علياً مظهر العجائب

تجده عوناً لك في النوائب

فما أدري ما الذي أراد بذلك وهل نحن خرجنا بهذه المناداة عن المألوف وخالفنا فيها النهج العقلاني فأننا أن كنا نتأديه لأمر عادي لا تحتاج الإجابة فيه إلى إعجاز فليست المناداة فيه بشيء مستغرب فإنه قد تصدر في كل يوم آلاف المناداة من هذا القبيل ولأناس

هم أقل شئناً من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب #
وأن كانت المناداة لأمر نحتاج فيه إلى الإعجاز فكذلك
لا تكون المناداة فيه أمراً مستغرباً، أو ليس من المألوف
ومن السنة الطبيعية أن يستغيث العاجز بالقادر
والضعيف بالقوي ويناديه ويستجده ليخلصه من
ورطته وما قد يقع فيه من حرج أو يبتلي به من ضيق
أو لم يكن أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب # هو
مفرج الكرب عن وجه رسول الله ^ وكان ساعده
الأيمن في كل حروبه و مغازيه. ألا يكون اسم علي
بذلك شعاراً للقوة والإغاثة والنجدة وتفريج الكرب
وهل يجوز أن يجعل اسمه ومناداته موضعاً للتنديد،
سبحان الله ما اشبه الليلة بالبارحة ، بالأمس أسقط
الشهادة الثالثة من آذانه فأذن وأكمل الأذان بدونها،

وجاءت بعدها القولة الفضيعة (أربعين الإمام الحسين هي فكرة يهودية)، وجاءنا اليوم التنديد والأتهام بالشرك لمجرد أستغاثتنا بأهل البيت & ولمناداتنا بإسم علي أمير المؤمنين # وغداً فكرة جديدة وبعد غد فكرة أخرى وهكذا دواليك وما عشت أراك الدهر عجباً . وأن تعجب فعجب قولهم.

يالعمري ألا يعلم أن هذا التركيز منه على مناداة علي أمير المؤمنين # والتركيز على اسمه في ذلك يستوجب الإهانة لشخصه ول مقامه القدسي وهذا بدوره يستوجب الاستهانة بمعتقداتنا ومقدساتنا.

أجل إن هذا الخطاب قد يعد ترديداً وأعادة لتلك النغمة التي طالما ردها البعض كما ذكرنا سابقاً واتهمنا فيها بالشرك والعجب ممن يرى نفسه

في موقع الدعوة إلى سبيل الله كيف لا يأخذ فيما يقوله
منهج الحكمة والموعظة الحسنة فيباعد نفسه عن
اللهجة المتشددة والأسلوب المتطرف في أفكاره التي
يحاول نشرها.

ثم إننا لو أردنا ان نتسائل عما هو الباعث لهذا
التشدد والتحشيد ضدنا هل كل ذلك لأجل حملنا على
إظهار الموافقة للغير في أفكاره ومعتقده والملائمة في
ذلك معه فما عسانا أن نجني من وراء ذلك وما يكون
نصيبنا من المصلحة المترتبة عليه هل هو إلا التنازل
عن بعض ما نعتقده بغير مقابل كما ذكرنا ذلك في
حديث سابق.

أليس من الحق أن نأخذ نصيباً من حرية
المعتقد ما دمنا لا نعارض أحداً في معتقده وأفكاره، بلى
أن ذلك هو الحق والحق أحق أن يتبع

(٤١).....

ولا ننسى ونحن في محلنا ومن موقع المسؤولية
الملقاءة على كل واحد منا في نصح أخيه المؤمن وبلهجة
النصح أن نقول لأخينا عليك بالتدبر والتأمل فيما
تريد بيانه قبل أن تقول وقبل أن يفوه به لسانك وقبل
أن يفلت الزمام من يدك ويكبو بك جوادك وما كل
كبو يعقبها السلامة.

وخير ما نقول:

ربنا لاتزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك

رحمة إنك أنت الوهاب

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على

المرسلين والحمد لله رب العالمين

٥

تم تهيئة النسخة الأولى منه للطبع في ليلة الثامن عشر

من شهر ذي الحجة الموافق لذكرى البيعة لعلي أمير

المؤمنين # بيوم الغدير الأعظم

فالحمد لله على ذلك التوفيق المقترن بهذه الذكرى

العظيمة

والحمد لله على إكمال الدين وإتمام النعمة

ورضى الرب

(٤٣).....

(٤٤).....

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(٤٦).....